سلسلة الكتاب والسنة
لجنة الكلم الطيب

تنمية المهارات الدعوية ٦

الوقاية الفكرية

د. جمال يوسف الهميلي

مؤسسة الكتاب والسنة
لجنة الكلمة الطيبة

تنمية المهارات الدعوية ٦

الوقاية الفكرية

د. جمال يوسف الهميلي

© حقوق الطبع محفوظة للمؤلف

الطبعة الأولى

١٤٣٧هـ - ٢٠١٦م

جمعية الكتاب والسنة - لجنة الكلمة الطيبة

الأردن - عمان - حي نزال - شارع الدستور

هاتف: ٤٣٨٤١٥٩ - ص.ب: ١١٥٧٤ عمان ١١١٧١ الأردن

www.ktabsona.com

فهرس

المقدمة	٤
تحصين الفكر الذاتي	٦
المكون الأول: مَن يمسك الخيط؟	٩
المكون الثاني: جبلك الجليدي	١١
المكون الثالث: الهشاشة	١٤
المكون الرابع: التصحر الفكري	١٦
المكون الخامس: التحلية	١٩
المكون السادس: التطعيم الفكري	٢٢
المكون السابع: الاستفراغ الفكري	٢٦
الختام	٣٠

مُقَدِّمَة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين، وعلى آله وصحبه أجمعين، والتابعين بإحسان إلى يوم الدين، أما بعد:

ففي عام ١٩٤٨ ذهب مجموعة من علماء الجيولوجيا إلى جنوب أفريقيا بحثا عن الماس والأحجار النادرة، وكان من ضمن الفريق عالم ياباني يدعى يوكي، كان يوكي وفريقه يذهبون للتنقيب من الساعة الخامسة صباحا ويعودون إلى الفندق الساعة العاشرة ليلا ولمدة أسبوعين، ولكنهم لم يجدوا شيئا، فقرر يوكي أن يعود إلى اليابان، وهذه المرة الأولى التي يتخلى فيها يوكي عن أهدافه، وفي اليوم الأخير أنهى يوكي عمله في الخامسة مساء وقرر العودة إلى الفندق، وفي الطريق وجد طفلا في السادسة من عمره تقريبا يحمل حجرا غريب الشكل، فساوم يوكي الطفل على أن يعطيه أموالا مقابل الحجر، لكن الطفل رفض بشدة، وكان مع يوكي بعض الحلويات للتسلية في الطريق، فطلب الطفل من يوكي أن يعطيه الحجر مقابل قطع من الحلوى، فأعطاه يوكي الحلوى وأخذ الحجر وذهب إلى الفندق ليفحصه، وبعد الفحص الدقيق لم يصدق يوكي عينيه وأعاد الفحص عدة مرات، لم ينم خلالها دقيقة واحدة، ثم تبين له أن هذا الحجر أكبر ماسة شاهدها في حياته وتزيد قيمتها على ١٠ ملايين من الدولارات، وبعدها كتب يوكي في بحثه ونشر القصة في كتبه قائلاً:

« إن ذلك الطفل كان يمتلك ثروة كبيرة ولكنه لم يكن يعرف قيمتها، فباعها رخيصة، ولو كان يعرف قيمتها لما باعها بأبخس الأثمان».

ونحن قد وهبنا الله نعمة كبيرة لا تقدر بثمن، وجوهرة نفيسة لا تحسب بالوزن، فهي أعظم من كل الجواهر وأغلى من جميع الماسات، إنها نعمة العقل، نعمة التفكير، فلنتعرف على شيء من هذه النعمة:

١- كتلة المخ تبلغ ٤٥٤ غراما.

٢- يتكون المخ من ١٠ – ١٥ مليار خلية عصبية نيورون، تستطيع وضع ٢٥٠ خلية على رأس دبوس، كل خلية تتكون من رأس وخيط طويل يصل إلى مترونصف تتفرع منه تفرعات شجرية بلا عدد، وعليه زوائد بلا عدد، وهو ما يكفي للدوران حول الأرض ٤ مرات.

٣- مجموع عمليات الاتصال في المخ ١٠ وعلى يمينها أصفار على مسافة ٩ كيلومترات (تقريباً لا نهاية).

٤- ما يحدث داخل المخ من الاتصالات لحظياً = ١٠٠ ضعف في العالم كله.

٥- يستطيع المخ إجراء ١٠,٠٠٠,٠٠٠,٠٠٠,٠٠٠,٠٠٠ عملية حسابية في الثانية الواحدة.

٦- يعتبر المخ مصنع مواد كيميائية (صيدلية) حيث ينتج أكثر من ٩٠ مادة تفرز عند الحاجة، فمثلا ينتج مادة مسكنة عند الحاجة ١٠٠ ضعف مادة المورفين.

٧- في كل مرة نومض بها أو نرمش يقوم الدماغ بإبقاء الأشياء وكأنها مضاءة حتى لا يصبح العالم مظلما في كل مرة نغمض بها أعيننا (يومض الإنسان بمعدل ٢٠٠٠٠ مرة في اليوم الواحد).

هذه النعمة، ألا تستحق المحافظة عليها وتوظيفها فيما يرضي خالقها؟ ألا تستحق أن نعمل الكثير لنحميها من الملوثات والمدمرات؟ ألا تستحق أن نغذّيها وننميها؟ أليس هذا جزءا من شكر النعم؟ كيف وقد قال تعالى :

﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ﴾

(إبراهيم: ٧)

فلنبشر بالزيادة إلى ما لا نهاية.

فهل نعرف قيمتها أم نبيعها بأبخس الأثمان؟

التحصين الفكري الذاتي

جعل الله الأرضَ موطناً للإنسان، فيها يحقق المطلوب منه بإتقان، ثم هيأ له المكان، ثم جعل من الحراسة والوقاية ما يحمي ذلك الكائن من كل ما يؤذيه من سائر الأكوان، لذا أحاط الأرض (والأرض فقط) بغلاف يحقق للعبد الاستقرار والأمان.

ومن فوائد الغلاف الأرضي:

- يسمح بنفاذ الأشعة المرئية والأشعة تحت الحمراء وغيرها من الإشعاعات الحرارية والضوئية القادمة من الشمس والتي تمتصها الأرض مما يوفر الدفء والحماية.
- يقي سطح الأرض من الإشعاعات فوق البنفسجية الضارة التي تسبب أمراضا عديدة مثل سرطان الجلد وأمراضا جلدية وبصرية كثيرة.
- يساهم في تنظيم وتوزيع درجات الحرارة السائدة على سطح الكرة الأرضية حيث ينظم وصول أشعة الشمس ويمنع نفاذ كل الإشعاع الأرضي إلى الفضاء الخارجي، ولو لم يكن هناك غلاف جوي للأرض لتجاوز المدى اليومي ٢٠٠ درجة حرارية.

- يقوم بتوزيع بخار الماء على مناطق العالم المختلفة.
- حماية الكائنات الحية على سطح الأرض من الإشعاعات الكونية الضارة، وخاصة الأشعة فوق البنفسجية.
- يشكل درعاً واقياً يحمي سطح الأرض من النيازك والشهب حيث يتفتت معظمها قبل وصوله إلى سطح الأرض، نتيجة احتكاكه بالهواء واحتراقه.
- يعد واسطة اتصال تستخدمه الطائرات، وتنتقل فيه الأصوات، ولولا وجود الهواء في الغلاف الجوي لساد سكون وهدوء مخيفان على سطح الأرض.

وهذا يشير بوضوح إلى أهمية الأرض، والحرص على بقائها بالشكل المطلوب لتحقيق الهدف المنشود.

وعقلنا ليس أقل أهمية من أرضنا، فالغلاف الفكري يحمي – بإذن الله – من اللوثات الفكرية الخارجية التي قد تدمر هذا العقل، هذه المهمة أوكلها الله لنا وأرشدنا إلى ذلك ووضح لنا الطريق.

وإذا كنا لا نستطيع أن نعيش على الأرض لولا الله ثم الغلاف الجوي، فكذلك فكرك وعقلك لا يمكن أن يعيشا بصورة سوية وسليمة دون حماية فكرية تحجب وتمنع وتصفي وتسمح وفق أنظمة راقية وفكرٍ واعٍ.

ولعلك تسأل: عرفنا مكونات الغلاف الجوي، فما مكونات غلاف الوقاية الفكرية، الذي به أستطيع -بإذن الله- أن أحمي فكري كما حمى الله الأرض؟

الإجابة على هذا السؤال الكبير ليست مستحيلة، بل ممكنة، وقبل أن نذكر المكونات يجب التنبيه إلى أن هذه المكونات لا تؤدي دورها المطلوب إلا بتحقيق ثلاثة أمور:

١ إرادة ورغبة منك – بعد إرادة الله- .

٢ اليقين بتحقيق الهدف وعدم التواني والكسل، فالقاعدة الربانية تقول:

﴿وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَاۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾

(العنكبوت: ٦٩)

المجاهدة (وهي بذل غاية الجهد والعمل) مع الإخلاص تتحقق النتيجة المطلوبة.

٣ البدء الفوري: بالتطبيق وعدم التسويف والتأخير، فكمّ المعلومات الذي تتعرض له يومياً كبير جدا، وكلما تأخرت زادت تلك الكميات التي تتضمن الغث والسمين والجيد والرديء ، «فقد احتاج الإنسان إلى ١٧٥٠ عامًا لمضاعفة معارفه التكنولوجية، بعدها أخذت القفزات تتسارع، ففي ١٥٠ عامًا تضاعفت مرة أخرى علوم البشر، ثم مرة أخرى خلال خمسين عامًا، هذه الخبرة البشرية تضاعفت مرة خامسة بين عامي ١٩٦٠ - ١٩٨٠م، وقد قدرت موسوعة المستقبل Encyclopedia of the Future أن المعلومات العلمية العامة تتضاعف كل ١٢ سنة، وأن المعلومات العامة تتضاعف كل سنتين ونصف السنة؛ مما يعنى أن ما كان يقتضي آلاف السنين من التطوُّر أصبح يتمُّ خلال عقد واحد، وربما أقل»[1].

والآن بعد هذه الثلاثية أراك
مستعداً ومتحمساً فإلى مكونات الوقاية الفكرية:

1- http://www.alukah.net/culture/020799//#ixzz3wRvQ6Zvu

المكوّن الأول

مَن يمسك الخيط:

أمعن النظر في السيارتين، ما الفرق بينهما؟

أظنك أدركت أهم الفروق، إنه وجود الخيط في الصورة الأولى دون الثانية، وهذا يعني اختلاف التحكم في السيارة:

ففي الصورة الأولى المتحكم بالسيارة هو من يمسك الخيط، أما في الصورة الثانية فإن السيارة تستطيع السير بما لديها من بطارية دون الحاجة إلى مَن يسيرها .

إن ما يحدث في هذه السيارة، هو ما يحدث معنا في حياتنا، فنحن إن لم نملك زمام أمورنا دون الحاجة إلى الآخرين، فسيأتي مَن يتحكم بنا ويسيرنا وفق أهدافه وبطريقته هو، دون إرادتنا.

وكذلك على المستوى الفردي، فأنت إن لم تتحكم في عقلك وفكرك وتوجههما إلى حيث تريد، فلابد أن يأتي أحدهم ليربط الخيط في عنقك (الخيط المعنوي) ثم يقودك إلى حيث يريد وإن كنت لا تريد.

ولعل هذا أحد الأسرار في قوله تعالى:

﴿وَقَالَ ٱلشَّيۡطَٰنُ لَمَّا قُضِيَ ٱلۡأَمۡرُ إِنَّ ٱللَّهَ وَعَدَكُمۡ وَعۡدَ ٱلۡحَقِّ وَوَعَدتُّكُمۡ فَأَخۡلَفۡتُكُمۡۖ وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيۡكُم مِّن سُلۡطَٰنٍ إِلَّآ أَن دَعَوۡتُكُمۡ فَٱسۡتَجَبۡتُمۡ لِيۖ فَلَا تَلُومُونِي وَلُومُوٓاْ أَنفُسَكُمۖ مَّآ أَنَا۠ بِمُصۡرِخِكُمۡ وَمَآ أَنتُم بِمُصۡرِخِيَّ إِنِّي كَفَرۡتُ بِمَآ أَشۡرَكۡتُمُونِ مِن قَبۡلُۗ إِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ لَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ﴾

(إبراهيم: ٢٢)

فالشيطان - وبعد فوات الأوان - يصرح بالحقيقة المرة ويعلنها صراحة أن اللوم الحقيقي على كل من كفَر ليس هو الشيطان، لكنه العبد نفسه، فلم يكن للشيطان إلا أن دعا إلى المعاصي والكفر، وكان الاختيار في قبول الدعوة أو رفضها هو للعبد نفسه، ولما كان اختيار العبد قبول الدعوة الشيطانية كان لزاماً عليه أن يتحمل تبعاتها.

وما سيصرح به الشيطان في جهنم - والعياذ بالله- صرح ويصرح به بعض شياطين الإنس في كل زمان ومكان .

فهل أنت مَن تتحكم في خيطك!

المكوّن الثاني

جبلك الجليدي

جبل الجليد العائم في المياه القطبية, حيث يختفي منه تحت سطح الماء تسعة أعشاره، ولا يظهر للعيان سوى العشر.

والسلوك الإنساني فيه شَبه من الجبل الجليدي، فالسلوك الذي نتصرف به هو الجزء الظاهر من شخصيتنا، والجزء الأكبر والأهم في تكوين هذا السلوك هو الجزء المخفي في نفوسنا.

فكل تصرف تحته جزء مغطى كان سببا في ظهور هذا التصرف بالشكل الظاهر، ومن البديهي أن تسأل عن هذا الجزء المخفي الذي يشكل العمود الفقري لكل سلوكياتنا، والإجابة عن هذا السؤال ليست قطعية وإنما اجتهادية ومن خلال التجارب والدراسات، ومن أهم تلك النتائج نظرية مثلث السلوك.

هذه النظرية تقول إن السلوك هو نتاج الفكر ثم المشاعر ثم السلوك[٢]، فهي ثلاثة أمور مترابطة ومتصلة ومتسلسلة، ولتوضيح ذلك نضرب هذا المثال:

لو أن أحدهم ضربك من الخلف، كيف تتصرف؟

الطبيعي أنك ستغضب وتلتفت إليه بسرعة وربما تضربه أو توبخه.

لكن ماذا لو أنك التفتّ فرأيته أحد أحبائك وأصدقائك المقربين، حينها سيتغير تفكيرك، وبالتالي شعورك، وفي النهاية سيتغير سلوكك، فلا تغضب ولا تنهر، بل تعاتب بروح جميلة.

وماذا لو كان مديرك في المدرسة أو رئيسك في العمل أو شخصية مؤثرة، سيتغير تفكيرك في السلوك ثم تتغير مشاعرك ثم سيختلف سلوكك.

ماذا نستفيد من ذلك؟

بناءً على تلك النظرية: إذا أردت تغيير سلوكك فغيّر تفكيرك، وإذا أردت تغيير سلوك شخصٍ ما، فما عليك إلا تغيير تفكيره نحو المطلوب وسيتغير سلوكه تلقائياً، وإن لم يفكر في تغيير سلوكه.

وهذا يتطلب منك الانتباه والتيقظ لمن يرغبون في تغيير سلوكك، فهم لن يقولوا لك: افعل كذا، لكنهم سيؤثرون على تفكيرك فقط ثم سيكون التوجيه إلى السلوك المنشود دون عناء.

٢ - وهناك من يقدم المشاعر على الفكر.

ولعل هذا من أساليب الشيطان في إغواء بني آدم، فهو لا يدعوهم إلى ممارسة المعصية مباشرة لكنه يزينها لهم ويُحبّبها لهم (تغيير فكر) بحيث تصبح مقبولة، ويزوده بمبررات مقنعة حتى يقع العبد ضحية لسلوك مشين وهو المعصية، اقرأ معي هذه الآيات:

﴿قَالَ رَبِّ بِمَآ أَغۡوَيۡتَنِي لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَأُغۡوِيَنَّهُمۡ أَجۡمَعِينَ﴾

(الحجر: ٣٩)

والتزيين هو التحبيب وإظهار المطلوب بصورة مرغوبة ومنشودة، وغالباً ما تكون غير حقيقية. ولعل في قصة أبينا آدم عليه السلام دليلاً واضحاً على ذلك:

﴿فَوَسۡوَسَ إِلَيۡهِ ٱلشَّيۡطَٰنُ قَالَ يَٰٓـَٔادَمُ هَلۡ أَدُلُّكَ عَلَىٰ شَجَرَةِ ٱلۡخُلۡدِ وَمُلۡكٖ لَّا يَبۡلَىٰ﴾

(طه: ١٢٠)

﴿فَوَسۡوَسَ لَهُمَا ٱلشَّيۡطَٰنُ لِيُبۡدِيَ لَهُمَا مَا وُۥرِيَ عَنۡهُمَا مِن سَوۡءَٰتِهِمَا وَقَالَ مَا نَهَىٰكُمَا رَبُّكُمَا عَنۡ هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةِ إِلَّآ أَن تَكُونَا مَلَكَيۡنِ أَوۡ تَكُونَا مِنَ ٱلۡخَٰلِدِينَ﴾

(الأعراف: ٢٠)

فالشيطان زيّن الأكل وبرره لأبينا آدم عليه السلام بتبريرات غير صحيحة، لكنها محركة للذهن، وفي المقابل لم يذكر له حقيقة الأمر بأن الأكل معصية لله وأنه قد يؤدي به إلى غضب الله - سبحانه وتعالى -، واستمر إبليس في ذلك إلى أن:

﴿وَقَاسَمَهُمَآ إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ ٱلنَّٰصِحِينَ﴾

(الأعراف: ٢١)

فأقسم لأبينا آدم عليه السلام وأمّنا حواء بأنه ناصح لهما - وهذا كذب -، وعندها أكلا منها ووقعت المعصية، وبقية القصة معروفة.

وما حدث منذ زمن بعيد يتكرر الآن بشكل جديد، وبأسلحة ووسائل وتقنيات لم تكن متوفرة سابقاً، فهل من الممكن أن نكون ضحية توجيه تفكيرنا؟ وبمعنى آخر:

هل تعرفت على جبلك الجليدي

المكوّن الثالث

الهشاشة

المرض الصامت (القنبلة الموقوتة)

- العظام: جهاز نشط وحيوي يتبع عملية القولبة المستديمة، أي إعادة وبناء العظام التالفة وبناؤها من جديد وهي عملية مستمرة طوال عمر الإنسان لكنها تتناقص ببطء مع التقدم في العمر.
- ٢٥ - ٣٠ ٪ من الرجال والنساء بالسعودية مصابون أو عرضة للإصابة به (نسبة عالية جداً بالمقارنة العالمية).
- نسبة الإصابة بين النساء واحدة من كل ست نساء، وهي أعلى من سرطان الثدي (واحدة من كل تسع نساء).
- ١٠ ملايين معرّضون سنويا للكسر بسبب المرض الصامت.
- عند الإصابة به فإن العظام تتآكل بشكل مرعب (تقل كثافتها) فتصبح ضعيفة، تؤدي إلى كسور بأقل الأسباب وينتج عنها في الغالب: الإعاقة المستديمة أو الوفاة.

أظنك عرفته! إنه مرض هشاشة العظام، الذي ستبلغ تكلفة علاجه في السعودية ٣٠ مليار ريال عام ٢٠٣٠م إن لم نتدارك أمورنا[٣].

ومن أبرز جوانب خطورة المرض أنه ليس له أعراض أو مؤشرات واضحة (صامت)، وإنما تظهر عند حصول الكسر، أي بعد وقوع الحدث.

٣ - مركز التميز لأبحاث هشاشة العظام بجامعة الملك عبدالعزيز بجدة.

ولعل خطورة هذا المرض تتفق مع خطورة الفكر، فالفكر المنحرف ليس له مؤشرات واضحة جازمة، فالإنسان المنحرف لا يختلف في شكله ولا لونه ولا جنسه ولا ملبسه عن الآخرين، وإنما يختلف في داخله الذي لا يعلمه إلا الله، وتظهر خطورة هذا الفكر حين يمارس سلوكيات معينة ويظهر على الساحة، أي بعد وقوع الحدث، حينها يكون العلاج صعبا ومكلفا، والخسائر كبيرة، وتعويضها صعب جدا.

لذا يجب أن تسأل نفسك هذا السؤال المهم جداً:

هل لديك (نا) هشاشة فكرية؟

لا تستعجل في الإجابة، فهي تحتاج إلى تأنٍّ وتروٍّ، فحقيقة الهشاشة الفكرية تظهر في المواقف وعند الأزمات وحين تُقذف بالشبهات من جميع الاتجاهات.

كم من شخص، بل ومجتمعات توقعوا أنهم في حصن حصين وموقع أمين، وحين باغتهم العدو اتضح أن الحصن قديم والسور ضعيف، فانهارت المباني ودخل العدو وتمكّن، فأصبح من العسير خروجه، فلو أدركوا وتأكدوا وتنبهوا منذ البداية لكان من السهل تقوية الضعف وإصلاح الخلل، لكنها هشاشة البنيان.

وقد أشار القرآن الكريم إلى هذه الظاهرة فقال تعالى:

﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَعۡبُدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ حَرۡفٖۖ فَإِنۡ أَصَابَهُۥ خَيۡرٌ ٱطۡمَأَنَّ بِهِۦۖ وَإِنۡ أَصَابَتۡهُ فِتۡنَةٌ ٱنقَلَبَ عَلَىٰ وَجۡهِهِۦ خَسِرَ ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةَۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡخُسۡرَانُ ٱلۡمُبِينُ﴾

(الحج: ١١)

فهو مطمئن طالما أنه في خير، أي لم تظهر حقيقة إيمانه، لكنه عند الفتنة (عند الحدث) تظهر الحقائق وينكشف المستور، فإذا به ينقلب على وجهه، فالنتيجة أنه خسر الدنيا والآخرة - والعياذ بالله -، وهو الموضع الوحيد في القرآن الكريم الذي قال عنه «خسر الدنيا والآخرة».

ومن الجميل أن نتجاذب أطراف الحديث حول كيفية التعرف على البناء الفكري الذاتي وهل هو متين ورصين، فنأمن الهشاشة ونضمن السلامة، وهذا ما سنذكره – بإذن الله – في المكونات الأخرى.

المكوّن الرابع

التصحر الفكري

صحراء أتاكاما هي صحراء في تشيلي بأمريكا الجنوبية تمتد على شكل شريط يبلغ طوله ٩٦٦ كم، ويوازي المحيط الهادي الذي يحصرها من الغرب بينما تحدها جبال الأنديز من الشرق، والصحراء عبارة عن هضبة مرتفعة تغطي مساحة ١٠٥٠٠٠ كم مربع. وما يميز هذه الصحراء عن غيرها هي البرودة العالية حيث يمكن أن تصل درجة الحرارة فيها إلى الصفر المئوي، وتنعدم في هذه المنطقة الأمطار بشكل شبه تام، لذا فهي أكثر المناطق جفافا في العالم.

انعدام الأمطار يعني انعدام الحياة، فلا يكفي وجود الأرض لتوجد الحياة بل لابد من تغذية لهذه الأرض بما ينفعها لتستخرج ما فيها من كنوز، قال تعالى:

﴿وَتَرَى ٱلْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَآ أَنزَلْنَا عَلَيْهَا ٱلْمَآءَ ٱهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنۢبَتَتْ مِن كُلِّ زَوْجٍۭ بَهِيجٍ﴾

(الحج: ٥)

وهامدة أي يابسة مجدبة، هكذا نراها نحن، لكنها في حقيقة الأمر قابلة ومهيأة للحياة تنتظر نزول الماء عليها لتنبت من كل زوج بهيج، وهكذا تحولت الأرض المجدبة إلى أرض بهيجة، فيها من النباتات ما الله به عليم، كل هذا بسب نزول الماء، ومن حكمة الله أن جعل الماء النازل عذبا مفيدا للأرض، ولك أن تتخيل لو كان مالحاً هل ستخرج «الزوج البهيج»؟ لذا قال الله تعالى:

﴿أَفَرَءَيْتُمُ ٱلْمَآءَ ٱلَّذِى تَشْرَبُونَ ﴿٦٨﴾ ءَأَنتُمْ أَنزَلْتُمُوهُ مِنَ ٱلْمُزْنِ أَمْ نَحْنُ ٱلْمُنزِلُونَ ﴿٦٩﴾ لَوْ نَشَآءُ جَعَلْنَٰهُ أُجَاجًا فَلَوْلَا تَشْكُرُونَ ﴿٧٠﴾﴾

(الواقعة: ٦٨ – ٧٠)

والأُجاج هو المالح الذي لا يمكن شربه.

فالنتيجة: ماء عذب مناسب لهذه الأرض لتكتمل دورة الاحتياجات اللازمة لظهور النبات.

وهكذا الفكر البشري (عقلي وعقلك)، قابل ومهيأ لاستخراج كنوزه، لكنه يحتاج إلى ما يناسبه ليُظهر تلك الكنوز، وبمعنى آخر: لابد من تغذية الفكر وإلا سيصبح كالأرض الجرداء التي ليس فيها مطر.

بل ربما يصل إلى درجة خطيرة: فهذا الحافظ المفسر أبو عبد الله عكرمة بن عبد الله البربري المدني، مولى عبد الله بن عباس ﷺ المتوفى ١٠٥هـ، أحد التابعين والمفسرين المكثرين والعلماء الربانيين والرحالين الجوالين، كان له مجلس للتعليم، فمضى أسبوع ولم يسأله أحد فقال لطلابه: ما لكم لا تسألوني، أأفلستم؟

فقد يصل العبد إلى مرحلة الإفلاس الفكري، بألاّ يكون لديه جديد أو ما يسأل عنه!!

وتغذية الفكر تكون بأمرين اثنين:

١- تزويده بالمعلومات الصحيحة (مياه عذبة).

٢- تدريبه على مهارات معالجة المعلومات وتوظيفها لتحقيق الهدف المنشود.

وعلى مقدار هذين الأمرين تكون الثمار وتكون النتائج المبهرة والإبداعات الفريدة،

وأظننا متفقين على أن الحصول على المعلومة أصبح سهلاً وميسرا في هذا الزمان، فكما لا يكفي أن يكون ماءً فقط لزراعة الأرض بل لابد أن يكون عذباً، فكذلك لا يكفي أن تكون أي معلومات فلابد أن تكون صحيحة ومناسبة لهذا الفكر.

أما مهارات معالجة المعلومة فهي كثيرة، وأهمها مهارة الملاحظة الدقيقة لكل ما حولك، فهي المفتاح الرئيس لمعظم المهارات الأخرى، لذا سنكتفي بالإشارة إليها فقط[٤].

الملاحظة تعني استخدام واحدة أو أكثر من الحواس الخمس في اكتشاف التفاصيل للقضية أو الموضوع أو الظاهرة.

---

٤ - للتعرف على المهارات الأخرى، يمكن مراجعة كتاب: صناعة الفكر للمؤلف.

ولنقرأ معاً هذا الحديث: **عن عائشة ﵂ أن رسول الله ﷺ قال لها: إني لأعلم إذا كنت عني راضية، وإذا كنت علي غضبى، قالت: فقلتُ: من أين تعرف ذلك؟ فقال: أما إذا كنت عني راضية، فإنك تقولين: لا وربّ محمد، وإذا كنت غضبى، قلتِ: لا وربّ إبراهيم. قالت : قلت : أجل والله يا رسول الله، ما أهجر إلا اسمك.** رواه البخاري برقم ٥٢٢٨.

هكذا هي الملاحظة الدقيقة، من كلمة واحدة عرف ﷺ متى تكون زوجته راضية ومتى تكون غضبى، فهلا اقتدينا به ﷺ في ذلك؟

وقبل أن نختم الكلام عن المهارات لابد من بيان أن المهارات يمكن اكتسابها وتنميتها لكل أحد بشرط الرغبة والإرادة.

وللتعرف على مهارة الملاحظة البصرية لديك، إليك هذا التمرين:

خلال دقيقة واحدة فقط، اكتشف عدد الوجوه الموجودة في تلك الصورة:

فبادر بتغذية عقلك قبل أن يتصحر.

المكوّن الخامس

التحلية

• تشكل المياه أكثر من ٧٠ ٪ من مساحة الكرة الأرضية. لكن هذه النسبة أغلبها ماء مالح.

• أما الماء العذب فإن نسبته لا تزيد عن ٢,٦ ٪ من كمية المياه على سطح الأرض.

• أما المياه الصالحة للشرب فإنها ٠,٠١ ٪ من المياه الموجودة على سطح الأرض.

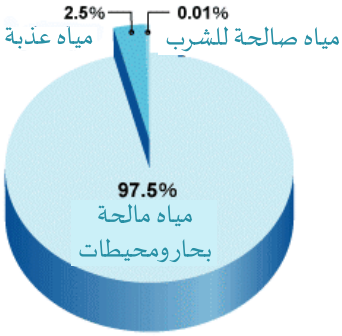

توزيع المياه على الكرة الأرضية

وهذا يعني أنه لا بد من إيجاد وسائل لتوفير المياه الصالحة لشرب الإنسان بطرق مبتكرة ، لأن كميتها قليلة جداً. ولما كانت المياه المالحة كثيرة ومتوفرة، جاءت فكرة تحلية المياه المالحة وتحويلها إلى مياه صالحة للشرب، فظهرت عدة ابتكارات لذلك، لكنها متفقة على أمرين اثنين:

التقطير الومضي متعدد المراحل لتحلية المياه

١- أنها عملية معقدة وصعبة.

٢- أنها مكلفة: ففي شهر ٤ من عام ٢٠١٤م دشن وزير المياه في السعودية أكبر محطة لتحلية المياه بتكلفة ٢٧ مليار ريال[٥].

فرغم كثرة المياه إلا أن الصالح منها قليل، ولكي تستثمر هذا الكثير عليك تحليته.

والفكر كذلك، فتغذية الفكر أمر لابد منه - كما ذكرنا سابقاً -، وكمّ المعلومات المتاحة كبير جداً، والوصول إليه أمر سهل، لكن هذا الكمّ من المعلومات ليس كله مناسباً، بل إن أكثره ملوث ويحتاج إلى تنقية وتحلية لكي نستفيد منه، لذا كان لزاما علينا تحلية الفكر وتنقيته.

وتحلية الفكر تمر بعدة مراحل هي:

١- التأكد من سلامة المصدر ومصداقيته.

٢- التثبت من المعلومة :

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن جَآءَكُمۡ فَاسِقُۢ بِنَبَإٖ فَتَبَيَّنُوٓاْ أَن تُصِيبُواْ قَوۡمَۢا بِجَهَٰلَةٖ فَتُصۡبِحُواْ عَلَىٰ مَا فَعَلۡتُمۡ نَٰدِمِينَ﴾

(الحجرات: ٦)

فمع كونه مسلما لكن التبين والتثبت مطلب حتى لا نقع في الجهالة[٦] ثم نندم.

٣. شبه نفاذ: ينتقل الماء من التربة إلى الشعيرة الجذرية بآلية أسموزية بسيطة عندما تكون قوة الامتصاص الأسموزية (osmosis absorption) للشعيرة الجذرية.

---

٥ - موقع قناة العربية.

٦ - الجهالة فعل الخطأ مع معرفة أنه خطأ، والجهل هو فعل الخطأ مع عدم معرفة أنه خطأ.

الخاصية الأسموزية تعني: عملية تحريك طبيعية (تلقائية لا تحتاج لأي طاقة) للمذيب من منطقة التركيز المنخفض للمذاب إلى منطقة التركيز العالي للمذاب عبر غشاء شبه نفاذ.

لقد أودع الله النبات هذه الخاصية لكي يمتص المفيد والمغذي، وفي الوقت نفسه يمنع المواد الضارة وغير المغذية من الدخول إلى الجذور ومن ثم النبات.

أما الإنسان فقد وهبه الله العقل والفكر لينظر ويتأمل ويتخير، فهو الكائن الوحيد الذي يمتلك الإرادة، ثم فتح له باب العلم والمعرفة على مصراعيه لينهل منه ما شاء، وأرشده إلى ما ينفعه وما يضره، ثم ترك له حرية الاختيار ليحاسبه على اختياره.

ومن هنا فعليك تطبيق تلك الخاصية على كل ما يرد إليك من أفكار فتُمرر المفيد وتُبعد الضار، ومن معايير (شروط) المرور مدى مناسبة المعلومة لي، وهل أنا محتاج لها، وبمعنى آخر: ماذا يمكن أن تضيف لي تلك المعلومة أو الحادثة أو غيرها؟

٤- الاهتمام: هل أضعه من ضمن اهتماماتي؟ وإذا كان نعم فلماذا؟

٥- النشر: إذا جاء الأمر وخاصة حين يتعلق بقضية مهمة في البلد أو المجتمع، يجب أن أسأل: هل من المناسب أن أنشره؟ ثم لمن أنشره؟ للجميع أم لفئة معينة؟ ولنكن على حذر من النشر غير المبرمج، فكم من شائعة هزت أمة وكم من خبر هدم بيوتا، خاصة في زماننا الذي أصبح فيه النشر سهلا جداً ومتيسرا لكل أحد، ولنتأمل هذه الآية:

﴿وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِّنَ الْأَمْنِ أَوِ الْخَوْفِ أَذَاعُوا بِهِ ۖ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَىٰ أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ ۗ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لَاتَّبَعْتُمُ الشَّيْطَانَ إِلَّا قَلِيلًا﴾

(النساء: ٨٣)

فقد ختمها الله بقوله ﴿لَاتَّبَعْتُمُ الشَّيْطَانَ﴾ ففيه إشارة إلى أن الإذاعة دون الرد إلى الرسول ﷺ - في حياته – وإلى أولي الأمر – وهم العلماء والحكماء – مؤشر على اتباع الشيطان.

وهكذا نكون استوفينا مراحل التحلية الفكرية الخمس، وبها تتحول الأفكار والأقوال من مالحة (غير نافعة) إلى مواد نافعة ومفيدة. نعم، إن مسألة تحلية الفكر صعبة لكنها مطلب، ومعقدة لكنها ضرورة، فلندرّب أنفسنا على تحلية فكرنا.

المكوّن السادس

التطعيم الفكري

في ١٤ مايو من كل عام يحتفل الإنجليز ومعهم العالم أجمع بذكرى أكبر مغامرة علمية في التاريخ.

كان مرض الجدري وباء مفترسا يموت الكثير من البشر بسببه، وقدرت الدراسات أن الجدري قتل ما يزيد عن ٥٠٠ مليون شخص قبل اكتشاف اللقاح، وفشل جميع العلماء في اختراع علاج لهذا المرض القاتل حتى عام ١٧٩٦م، حيث لاحظ العالم الإنكليزي إدوارد جينر شيئا غريبا وهو أن مربيات الأبقار وبائعات اللبن لا يُصبن بالجدري .. ففكر في ذلك وقال: ربما لأن إصابتهن بجدري الأبقار (وهو أقل خطورة) تحميهن من جدري البشر.

وكان لابد على جينر أن يحقن متطوعا من البشر بجدري البقر ثم يحقنه بجدري البشر لكي يتأكد من ذلك .. وقرر أن يكون هذا المتطوع هو ابنه الوحيد .. من المحتمل أن يموت هذا الابن .. لكنه قرر أن يُجري تلك التجربة.

وفي ١٤ مايو عام ١٧٩٦ أجرى جينر التجربة ونجحت، وعاش الابن، وكسب العالم أعظم إنجاز طبي في التاريخ وهو فكرة التطعيم التي أنقذت مئات الملايين من البشر!

والتطعيم هو عبارة عن حقنة تحتوي على كائنات مجهرية (فيروسات، بكتيريا ..إلخ) لها دور في أمراض معينة تحقن إلى داخل الجسم لاكتساب مناعة ضد الأمراض التي تسببها تلك الكائنات المجهرية.

أي أن الجسم ينتج مضادا لهذا المرض بعد أن يتعرف عليه، ولكي يتعرف عليه نحقنه

بفيروسات مريضة ضعيفة، وحين تأتي الفيروسات السليمة يكون الجسم قد تعود وأنتج مادة مضادة لها فلا تستمر طويلاً في الجسم بفضل الله ثم بفضل المضاد الذي خزنه الجسم من قبل.

وهكذا الأفكار، فمِن وسائل الحماية الفكرية تطعيم الفكر ببعض الشبهات التي يمكن أن يتعرض لها لكي يتدرب عليها ويعرف كيف يمكن مواجهتها، حتى إذا جاءت تلك الشبهة من طرف خارجي فإذا بالفكر قد تدرب على الرد والمناقشة ودحض الشبهة فيقتلها في مهدها.

وهذا له نظير في القرآن الكريم ،تأمل هذه الصورة :

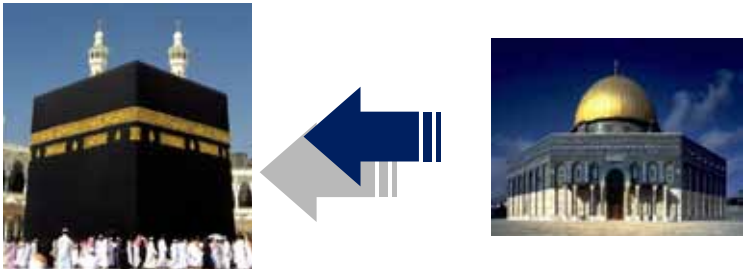

لعلك أدركت من خلال الصورة الحدث الذي تم في السنة الثانية من الهجرة النبوية الشريفة، أي بعد ١٥ سنة من البعثة، وهو تحويل القبلة من المسجد الأقصى إلى المسجد الحرام في مكة، ولِنعد إلى القرآن الكريم في وصف تلك الحادثة ، يقول تعالى:

﴿ ۞ سَيَقُولُ ٱلسُّفَهَآءُ مِنَ ٱلنَّاسِ مَا وَلَّىٰهُمۡ عَن قِبۡلَتِهِمُ ٱلَّتِي كَانُواْ عَلَيۡهَاۚ قُل لِّلَّهِ ٱلۡمَشۡرِقُ وَٱلۡمَغۡرِبُۚ يَهۡدِي مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ﴾

(البقرة: ١٤٢)

لقد أرشد القرآن الكريم إلى ما سيقوله السفهاء (وعلى رأسهم اليهود) من شبهات في تحويل القبلة، فذكر الله الشبهة وذكر الرد عليها ﴿قُل لِّلَّهِ ٱلۡمَشۡرِقُ وَٱلۡمَغۡرِبُۚ﴾ و ﴿لِنَعۡلَمَ مَن يَتَّبِعُ ٱلرَّسُولَ﴾ فكان هذا تطعيما قبل بيان التحويل، وحين تم التحويل ذكر اليهود مقالتهم فكان الرد عليها سهلا لأن الله أخبر بها وتم الرد عليها من قبل.

وبالطريقة نفسها يمكن أن نتطعم فكريا، فنتعرف على واقعنا والشبهات الواردة فيه، والتي نتعرض لها، ونعرف الرد عليها حتى إذا جاءت كانت سهلة المسار ضعيفة التأثير.

ومن المهم جداً هنا التأكيد على المصدر الذي نتلقى منه تلك الشبهات، فالمصدر يجب أن يكون صاحب حق له معرفة بالشبهات وردّها، له من العلم والتقوى ما يجعله قادراً - بإذن الله - على بيان الفكرة والرد عليها.

ومن أكبر الأخطاء التي يقع فيها بعض الناس أن يلجأ إلى أصحاب الفكرة المنحرفة ليسمعوا منهم بحجة معرفة أدلتهم والرد عليها، وربما – وهذا حصل – يقع فريسة سهلة لتلك الفكرة لقوة طرح الفكرة وضعف الأرضية العلمية عن تلك الفكرة فتتمكن الفكرة ويتشربها المتلقي، وقد تصبح منهجاً له مع أن بدايته كانت لمعرفة الرد لا الشبهة.

ومن أوضح الأدلة على ذلك هاتان الآيتان:

﴿وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ آيَاتِ اللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَقْعُدُوا مَعَهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ إِنَّكُمْ إِذًا مِثْلُهُمْ إِنَّ اللَّهَ جَامِعُ الْمُنَافِقِينَ وَالْكَافِرِينَ فِي جَهَنَّمَ جَمِيعًا﴾

(النساء: ١٤٠)

﴿وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي آيَاتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ وَإِمَّا يُنْسِيَنَّكَ الشَّيْطَانُ فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ الذِّكْرَىٰ مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾

(الأنعام: ٦٨)

فالآيتان توضحان منهج التعامل مع أهل الأهواء والشبهات، ففي الآية الأولى منهج السمع، أي حين تكون جالساً معهم، فالمطلوب عدم الجلوس وتركهم إلا أن يتغير الموضوع، وفي الآية الثانية منهج الرؤية، فالمطلوب الإعراض والابتعاد عنهم، وهكذا يكون القرآن الكريم قد استوفى جميع الحالات فإما أن تراهم دون أن تجلس معهم، وإما أن تكون جلست فيبدأ الحديث فيما لا يجب الحديث عنه.

وأظنك تتفق معي أن الذي علمنا التطعيم الفكري في آية تحويل القبلة هو الذي أرشدنا إلى منهجية التعامل مع الذين يخوضون في آيات الله أو يكفرون بها.

وإليك التطبيق العملي على ذلك، فقد أتى عمر بن الخطاب ﷺ النبي ﷺ بكتاب أصابه من بعض أهل الكتب فقرأه فغضب النبي ﷺ فقال: **«أمتهوكون فيها يا ابن الخطاب؟! والذي نفسي بيده لقد جئتكم بها بيضاء نقية لا تسألوهم عن شيء فيخبروكم بحق فتكذبوا به أو بباطل فتصدقوا به. والذي نفسي بيده لو أن موسى عليه السلام كان حيّا ما وسعه إلا أن يتبعني»**[٧].

فمعلم البشرية ﷺ ينهى عمر ﷺ – وما أدراك من عمر – عن التلقي من أهل الكتاب، وبين له أن الحق موجود لدينا، واضح جلي، ونهاه عن سؤالهم، فكيف يكون الحال لغير عمر؟

إذن لك أن تتعرف على الشبهة ولكن وفق منهجية الحق، ومن تلك المنهجية أن تعرف الحق أولاً ثم تعرف الشبهة والرد من خلال أهل الحق الراسخين في العلم.

وقبل أن نختم الكلام لعلنا نهمس في أذن شبابنا - من الجنسين - همسة حب وإخلاص، وهمسة رحمة ولطف:

احذروا من الاستماع إلى أهل الباطل، وخاصة من يمتلك لساناً فصيحا وبياناً مؤثراً فقد يوقعكم في حباله من حيث لا تشعرون، ولنقرأ هذا الكلام: «إنما أنا بشرٌ، وإنكم تختصمون إليَّ، ولعلَّ بعضَكم أن يكون ألحنَ بحُجَّتِه من بعضٍ، فأقضي له على نحوِ ما أسمعُ، فمن قضيتُ له بحقِّ أخيه شيئًا فلا يأخذْه، فإنما أقطعُ له قطعةً من النارِ»[٨]، أظنك علمت أن هذا كلام حبيبنا و قدوتنا ﷺ والذي يوحى إليه وهو يقول **«فأقضي له»** لا لأنه معه الحق بل لأنه **«ألحن بحجته»** ، فإذا كان هذا في حقه ﷺ فمِن باب أولى نحن قد نكون ضحية **«ألحن بحجته»**.

فهل ستكون أنت أفضل من الرسول الكريم ﷺ ؟!

---

٧ - رواه أحمد (٣٨٧/٣) عن جابر بن عبد الله، وحسنه الألباني في الإرواء (١٥٨٩).

٨ - رواه البخاري برقم ١٠٥٧٨.

المكوّن السابع

الاستفراغ الفكري

طلب هارون الرشيد كأس ماء، وكان في مجلسه أحد العلماء فقال له: مهلاً، يا أمير المؤمنين بكم تشتري هذا الكأس لو منِعَ عنك؟ وكان مُلكُ هارون الرشيد واسعاً لا تغيب عنه الشمس، نظر مرة إلى سحابة في السماء فقال: اذهبي أينما شئتِ يأتني خراجك، بلاده مترامية الأطراف، يا أمير المؤمنين هذا الكأس من الماء بكم تشتريه إذا مُنِعَ عنك؟ قال: بنصف ملكي، قال: فإذا منع إخراجه؟ قال: بنصف ملكي الآخر، فقال العالم: لا خير في ملك لا يساوي شربة ماء، فبكى هارون الرشيد.

التخلص من السموم عند الإنسان و طرد فضلات الجسم الضارة المؤذية من نعم الله تعالى ليبقى الجسم خاليًا من الأمراض والأسقام، ولذلك كان حَريًّا بالمرء أن يشكر الله سبحانه وتعالى على هذه النعمة، فقد جاء في الأثر **«إن نوحًا عليه السلام لم يقم عن خلاء قط إلا قال: الحمد لله الذي أذاقني لذته وأبقى فيَّ منفعته وأخرج عني أذاه»**. ومن ذلك:

- إخراج الهواء مع الزفير كل الوقت (الإنسان يتنفس بمعدل ٢٣ ألف مرة يومياً).
- يُخرج الإنسان من العرق يوميا لتراً واحداً (١٠٠٠سم٣).
- كمية البول الطبيعية للبالغ ٨٠٠ - ٢٥٠٠ سم٣.
- الإخراج الطبيعي (البراز) عند الإنسان ٢٥٠ غراماً يومياً.

ولك أن تتخيل لو لم يتم ذلك التخلص، كيف سيكون الإنسان؟ وما حالته الصحية والنفسية؟!!، فكما أن الأكل والشرب والتنفس نعمة، كذلك التخلص من الفضلات نعمة لا تقل عن الأولى.

وهذا الأمر يتم طبيعياً، فقد خلق الله أجهزة التخلص من الفضلات كما خلق بقية أجهزة الإنسان، ولم يكلها إلى البشر.

والتخلص من السموم الفكرية (الاستفراغ الفكري) والفضلات الذهنية، ربما يكون أولى من التخلص من السموم الجسدية، لأن بقاء الفضلات الجسدية يؤدي إلى الموت الجسدي، وبقاء السموم الفكرية ربما يؤدي إلى الموت المعنوي.

ومن هنا يجب علينا إجراء عملية الاستفراغ الفكري بين آونة وأخرى، وهذه العملية يجب أن تتم وفق آلية واضحة وخطوات تطبيقية تتيح لنا التخلص من السموم الفكرية قبل استفحالها، ومن هذه الآليات المقترحة نظرية الشوكة، التي يمكن توضيحها في الشكل التالي:

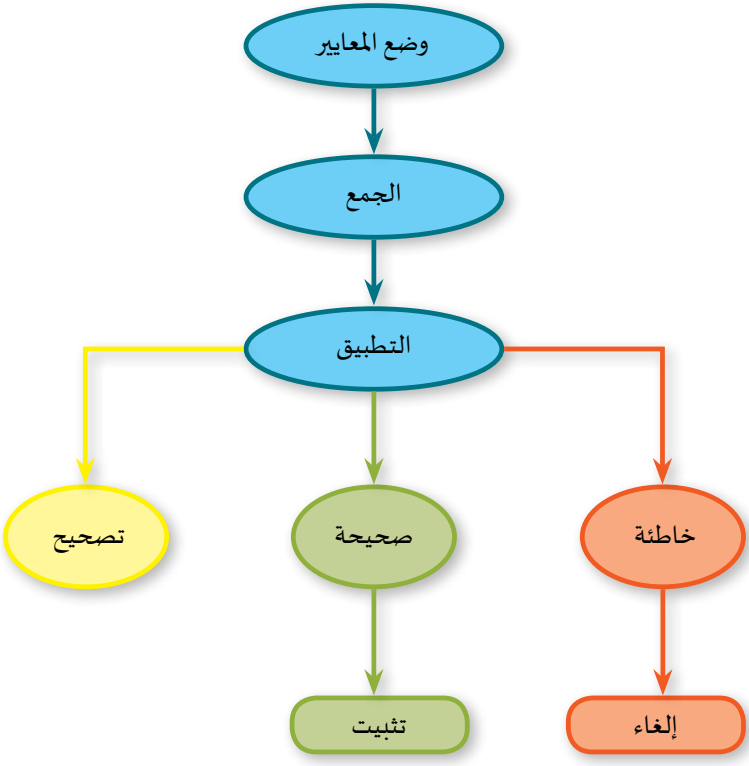

وخطواتها على النحو التالي:

١- وضع معايير واضحة لمؤشرات الأفكار، ومن أهم هذه المؤشرات:

• **المعيار الشرعي: هل الفكرة مقبولة شرعا؟**

فمن ذلك حديث عوف بن مالك الأشجعي ﷺ قال : كنا نَرْقِي في الجاهلية. فقلنا: يا رسولَ الله كيف ترى في ذلك؟ فقال ﷺ **«اعرِضوا عليَّ رُقاكم. لا بأسَ بالرُّقى ما لم يكن فيه شِركٌ»**[٩].

فالمعيار هنا: **«ما لم يكن فيه شرك»** فإذا كان فيها شرك فهي مرفوضة، وهذا ينطبق على بقية الأمور والأفكار، فالقبول والرفض مرجعهما إلى «هل فيها شرك»؟.

• **معيار العقل: فهل توافق العقل الصريح؟**

• **المعيار العُرفي: مدى قبول الفكرة في مجتمعنا، وإلى أي مدى هي مقبولة أو مرفوضة**[١٠].

٢-الجمع : وهو جمع الأفكار تمهيداً لتطبيق المعايير.

٣- تطبيق مؤشر القياس (المعيار): ونتيجة لهذا التطبيق ستكون الفكرة واحدة من ثلاثة احتمالات:

فكرة مرفوضة: (خاطئة) فهذه تُلغى وتُستبعد.

فكرة صحيحة وسليمة: هذه تُثبت في العقل وتطور وتستثمر.

فكرة تحتاج إلى تصحيح: فيها جزء صحيح وجزء خاطئ، فهذه تصحح وتُقوَّم ثم تُرجع مرة أخرى مع الأفكار في الجمع لتدخل مرة أخرى للتطبيق.

وهكذا بتلك العملية المستمرة وبشكل دوري تتم عملية بناء الغلاف الفكري من المحافظة إلى التغذية إلى التطعيم إلى التنقية إلى التخلص.

---

٩ - رواه مسلم، برقم ٢٢٠٠.

١٠ - الأعراف تتغير بتغير الزمان والمكان.

وقبل أن ننتقل إلى الخاتمة علينا أن نتذكر أن كل ما ذكرنا مرتبط بقضية مهمة جدا ومستمرة في كل الخطوات ومع جميع المكونات ألا وهي ثلاثية التوفيق:

◄ **إخلاص النية لله تعالى** في كل عمل، ومنه العمل الفكري، فمَن كانت نيّته لله وفّقه وأرشده وحفظه، ولنتذكر أن النية في الفكر مطلب كما أنها مطلب في العمل.

◄ **الاتصال العميق بالخالق** وتقوية ذلك الاتصال بشكل مستمر.

◄ **كثرة دعاء الله بالثبات، فقد سُئلَت أمنا أم سلمة ﷺ: ما كانَ أَكْثرُدعاءِ رسولِ اللَّهِ ﷺ إذا كانَ عندَكِ؟ قالَت: كانَ أَكْثرُدعائِهِ: يا مُقلِّبَ القلوبِ ثبِّت قلبي على دينِكَ قالَت: فقُلتُ: يا رسولَ اللَّهِ ما أكثرُدعاءكَ يا مقلِّبَ القلوبِ ثبِّت قلبي على دينِكَ؟ قالَ: يا أمَّ سلمةَ إنَّهُ لَيسَ آدميٌّ إلَّا وقلبُهُ بينَ أصبُعَيْنِ من أصابعِ اللَّهِ، فمَن شاءَ أقامَ، ومن شاءَ أزاغَ**[11].

١١ - صحيح الترمذي للألباني برقم ٣٥٢٢.

الختام

الريشة

من أبرز عيوب الريشة أنها خفيفة لدرجة أنها تسمح لأي نسمة هواء ولو كانت ضعيفة أن تحركها وتنقلها إلى حيث تريد النسمة وإن كانت الريشة لا ترغب، فخفّتها أعطت الضوء الأخضر للتحكم بها .

فلا تكن كالريشة تعطي الضوء الأخضر لكل أحد أن يتحكم بك ويسيرك إلى حيث يريد هو ، ولتكن لك شخصيتك ولك رأيك ولك فكرك.

وفي المقابل لا تغتر بعقلك فتتمادى في رأيك فلا تسمح لنسمات الهواء الجميلة بالدخول، أو تظن أنك تستطيع مجابهة كل شيء فتقع في زلة ربما لا تخرج منها، فهذا عبد الله القصيمي (١٩٠٧ - ١٩٩٦) مفكر سعودي يُعتبر من أكثر المفكرين العرب إثارة للجدل بسبب انقلابه من موقع النصير والمدافع عن التوحيد إلى الإلحاد.

فممّا ذكر الشيخ ابن عقيل الظاهري عن سبب إلحاد القصيمي: «جولته التي قام بها من لبنان إلى بعض الأقطار الشرقية أيام عنفوان الشيوعية، فعُني بشيء من الفلسفة، لا بالفلسفة كلها، فلم يقرأ إلا للفلاسفة الملحدين»[١٢]. وقد كان آخر ما قال القصيمي قبل وفاته: احذروا أن يقرأ أبناؤكم كتب الفلسفة![١٣].

---

١٢ - لقاء مع جريدة الجزيرة.

١٣ - من موقع منتدى التوحيد http://www.eltwhed.com .

أغلى الأشياء ثمناً نحرص عليها ونغلفها ونحفظها في أهم مكان ونضع عليها أقوى وأفضل الحراسات، ولا شيء أهم ولا أغلى من فكرك وعقلك فهما الأولى بالوقاية والحفظ والعناية والرعاية والتنمية والاستثمار، وعلى مقدار محافظتك عليهما يكون عطاؤهما لك. وليس هناك من هو أحرص منك عليك، وإلا فستكون أنت أول مَن يدفع الثمن.

ولك الخيار

سلسلة تنمية المهارات الدعوية، وصدر منها:

١- **ذكاء آخر**، اكتسب مهارات الذكاء الوجداني من سنة نبيك صلى الله عليه وسلم ، د.علي عجين.

٢- **الدليل الذكي للخطيب والمتحدث**، جمع وترتيب أسامة شحادة.

٣- **منهج الدعوة المعاصرة في ضوء الكتاب والسنة**، الشيخ عدنان عرعور.

٤- **صناعة الهدف**، مجموعة مؤلفين.

٥- **الدليل الذكي في تربية الأبناء**، جمع وترتيب أسامة شحادة.

الوقاية الفكرية

هذا الكتاب:

إذا كنا لا نستطيع أن نعيش على الأرض لولا الله ثم الغلاف الجوي، فكذلك فكرك وعقلك لا يمكن أن يعيشا بصورة سوية وسليمة دون وقاية فكرية تحجب وتمنع وتصفي وتسمح وفق أنظمة راقية وفكر واعٍ.

جمعية الكتاب والسنة
لجنة الكلمة الطيبة